

كنت أرتدي ثيابي الداخلية حين بدأت السيدة سامرية في أخذ مقاسات جسمي وتدوينها في أوراقها . امرأة في أوائل الأربعينات من عمرها تشعرني من اللحظة الأولى بوقارها البالغ، بدء الحديث معها لن تكف عن التثرثرة حتى يذوب ذلك الوقار تماما ظلت تحكي لي عن الفساتين التي صممتها سابقا لأمي، فتيات چارتين التي تطورت مع مرور السنوات، الأثوثة لن يصدق أبدا أنك الفتاة ذاتها التي تراها في باحة جويدا . ونظرتُ إلى جسدي في المرأة . لطالما كانت باحة جويدا ونديماتذكر زيارتي الأولى لمنطقة چارتين وباحة جويدا بشكل حي، حيث كنت طفلة صغيرة تبلغ من العمر ثمانية أعوام، وكانت هذه الزيارة تحمل لي الكثير من الفضول والخوف في نفس الوقت. كانت الباحة مليئة بالناس من مختلف الأعمار والثقافات، وكانت الأجواء مليئة بالتوتر والانتظار. كان والدي يحملني على كتفيه ويحاول أن يجعل لي مكاناً مناسباً لرؤية الحدث الذي كان سيحدث. وكان الحدث الذي جذب انتباهي واهتمامي هو حكم الإعدام على لص. كان يوجد رجل مكبل اليدين والقدمين ومغطى بغطاء أسود على رأسه، وكان يتم سحبه باتجاه منصة الإعدام. وكانت الأجواء مشحونة بالتوتر والخوف. لفتت انتباهي شخصية غريبة كانت تجلس فوق عمود في الباحة، وهو الطفل المعروف باسم "القائم الجانبي". كان يبدو متماشياً مع بقية الحشود في الباحة، ولكنه كان يحتل مكانة فريدة ومميزة على قمة العمود. كانت ملامحه تنبعث منها ثقة وسطوة، ورغم صغر سنه إلا أنه بدا كبيراً في وقاره وحضوره. استمرت زيارتي لمراسم الباحة لأرى القائم الجانبي. كانت هذه الزيارات تشكل جزءاً مهماً من ذكرياتي، حيث كنت أحضر بانتظام لأرى هذا الطفل الغامض والتفاعل معه بصمت، وشعرت برابطة غريبة تجمعني به. كل يوم كنت أتعلم المزيد عن قوانين بلادي، على الرغم من أننا لم نكن من الأثرياء، كانت لدي الرغبة الشديدة في الانتماء إلى باحة جويدا، وكنت أحضر لأشهد كل يوم من أيام الغفران منذ زيارتي الأولى مع والدي عندما كنت في الثامنة من عمري. لم يكن يوماً يمر دون أن أحضر فيه لأرى العمود الجانبي في الباحة، أدركت مع الوقت أن معظم المحكوم عليهم بالإعدام من النسالي، وكانت الزغاريد التي تطلق بعد الإعدام تعني حمل السفاح، وكانت أمي دائماً تقول أنهم يعيشون ليعدموا مجدداً. كنت أتساءل عن وجود رجل أو امرأة صالحة بين النسالي، لكن أمي كانت تشرح لي أن الروح تقود الجسد، والروح الشريرة لن تقوده لأمر صالحة. أخبرتني أمي بالعديد من قصص الجرائم التي ارتكبتها النسالي، وكانت تقول دائماً أن الرذيلة تسري في دمائهم. ولكن معلمي أوضح لي أنها جزء من عدالة چارتين، حيث لهم الحق في الحياة رغم تصرفاتهم. لا توجد امرأة من چارتين يمكنها الثقة برجل لا يخطئ طوال خمسين عاماً، أي امرأة شريفة لا ترغب في أن تجعل أولادها عرضة للمارة في أي وقت، تنتقل روح مذنبه من معدوم إلى آخر سيعدم، وتظل معذبة إلى الأبد إلا إذا كانت هناك امرأة حامل بجنين من الزنا، سواء كانت نسالية أو من شريفات چارتين، وقد لا تدرك أن هناك جنيناً نبت داخل بطنها. نساء چارتين الشريفات يفضلن أن يولد ابنهن ميتاً عند ولادته بروح مذنبه، حيث يجب أن يكون هناك زواج شرعي قبل ولادة الطفل بمدّة لا تقل عن سبعة أشهر، وإلا فإن المولود سيُعتبر نسبياً. فليس لأي چارتيني الحق في منع نسليهم من التواجد في شوارع المدينة، ولكن عليهم أن يتجنبوا ارتكاب الجرائم بعد بلوغهم السادسة عشرة، وإلا فسيعاقبون بلا رحمة. تسمح بلادنا بوجود بيوت للرذيلة إذا كانت النساء العاملات فيها من النسالي، مما يساهم في زيادة عدد الأطفال غير الشرعيين. كانت لدي معرفة جيدة بقوانين چارتين، مما جعلني طالبة متفوقة بين زملائي. حتى بعدما تم إغلاق مدرستي القديمة. وكان لدي اعتقاد قوي بأن التفوق الدراسي سيؤهلني للعمل في دار القضاء بچارتين، تذكرته بكافة تفاصيل وجهه التي تبدلت قليلاً، لكن ما فاجئني أن تعابير وجهه قالت بوضوح أنه تذكرني أيضاً رغمسة أعوام . فابتسم لي هو الآخر أعرف ماذا أفعل، كانت يد أبي فأمسكت بيده وسرت معه تجاه عربتنا ألتفت بين كل خطوة وأخرى لأنظر إلى وما لبثنا أن وصلنا إلى الخلف أبحث عنه، كنت قبل ذلك اليوم أحب التعليم ولا أحب مدرستي الجديدة كثيراً، أردت أن أحكي له كم ذهبت إلى باحة جويدا لأراه على القائم الجانبي ولم أجده، وظلت عيني تتربق بفارغ الصبر طلوع النهار. أردت أن أخبره عن حبي للباحة الذي نشأ ذلك وظلت عينمستيقظة تنظر إلى نافذة الغرفة، تتربق بفارغ الصبر طلوع النهار. يومي التالي كان حماسي للذهاب إلى المدرسة غير مسبوق سابق. كان شرودي ذلك اليوم يفوق أيام دراستي لانصراف، ثم كاد يسقط في قدمي عندما التفتُ صدفة إلى نافذة المفاجأة، الجرأة للاقتراب فزاد ارتباكي وانتفضت دقات قلبي ودار في ذهني حينذاك أن ذلك الفتى ليس إلا مجنوناً أو متهوراً . ونظرت في خوف إلى المعلمة التي كانت تقرأ لنا أحد الدروس وأنا أخشى أن تراه طالبة أخرى فتخبرها. تمنيت لو امتلكتُ بيدي حجراً فأقذفه به كي يبتعد به، ثم وجهت نظري إلى المعلمة مرة أخرى بحذر، ثم نظرتُ إلى ثم انتهيت من الدرس سيفلمتُ كتيبتي سريعاً، كان قلبي يدق سروراً وفرحة، وتبدلت تعابير وجهي بهجة وأملاً. 21 عاداته، مطمئنة لها وأمسكتُ بيدها، هكذا عرفت اسمه أخيراً. وجلستُ، عدت وكتبته مجدداً في نهاية اليوم قبل موعد الانصراف بدقيقة واحدة . وركبت مع أبي حفظ دروسي فدلقتُ إلى حجرته، بالفعل، وحدثت نفسي في ضيق: - على أن أنتظر أنا مجدداً. دت الى غرفتي دالى غرفتي

. ثم وبدلت ثيابي. وانسللتُ 211 سس سد- كان عر" 1. المقعد . وقلت لنفسي بصوت هامس: فأوحيتُ لها بأنني أقرأ من كتابي بدأت أمحو كلماته عندما انتبهت الطالبات مع المعلمة غير أن كلمة غفران لم وقتها تعينتلو وقفْتُ بمنتصف الفصل وقلت لزميلاتي علانية بكل جرأة؛ ثم وضعتُ جبهة رأسي على راحة يدي. لكن عدني ألا تختفي مرة أخرى .- لقد فقدتُ كيس نقودي . ثم قالت:- . حسناً، ويدور عقلي بخلقمبررات تحسباً لأي سؤال لها عن كتاباتي على سطح التختة